كُنّاشة: (٥)

علماء دمستان الأقدمون

إبراهيم عليّ السفسيف

إنّ من أهمّ الأسباب التي ساهمت في شهرة قرية دمستان -نسبيًّا- على المستوى المحلّيّ والإقليميّ، سببين اثنين، هما:

الأوّل: وجود قبر الشيخ محمّد بن عيسى صاحب الرمانة، حيث لايزال مقصدًا للمتعبّدين وطالبي البركات الدينيّة والدنيويّة.

والثاني: الفقيه الشاعر الشيخ حسن الدمستانيّ وقصيدته المعروفة "أحرم الحجّاج".

ربّما يحسب المتلقّي أنّ وجود العلماء فيها منحصر بهذين العلَمين الكبيرين عليهما الرحمة. والحقيقة التاريخيّة تُثبت أنّ قرية دمستان قد عرفت -إضافة إليهما- مجموعة من الأعلام ممّن كان مسقط رأسهم فيها أو انتسبوا إليها.

فلقد حفظت كتب تراجم العلماء أسماء مجموعة من هؤلاء العلماء الدمستانيّين، وعرّفت شيئًا من سيرهم وقصصهم ومآثرهم الخلقيّة وكتبهم.

وهذا ما يُدلّل على وجود حالة علميّة فيها ناتجة عن حراك درسيّ داخليّ ضمّته بيوتاتها، وتواصل علميّ تثاقفيّ مع المدارس العلميّة/الحوزويّة التي كانت منتشرة في جزيرة أوال وما يحيط بها من جزر في ذلك الوقت.

في هذه الصفحات، أنقل شيئًا ممّا كُتب عن هؤلاء العلماء الدمستانيّين الأقدمين، أسمائهم وسيرهم ومؤلّفاتهم -بتصرّف واختصار- نقلًا عن:

- "أعلام الثقافة الإسلاميّة في البحرين خلال ١٤ قرنًا" للدكتور سالم النويدريّ (مركز أوال للدراسات والتوثيق/٢٠١٥م).
- "منتظم الدرّين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين" للأديب محمّد التاجر (مؤسّسة طيبة لإحياء التراث/١٤٣٠هـ).

وذلك على النحو الآتي:

(١) أحمد بن سالم بن عيسى(أبو رمانة) (القرن: ١٠هـ)

العالم الربانيّ الشيخ أحمد بن سالم بن عيسى البحرانيّ، صاحب (قصّة الرمانة) الشهيرة، والتي ذكرها الشيخ يوسف آل عصفور في كشكوله، ونسبها إلى أحد علماء البحرين القدامى زمن الإفرنج، وأسماه (الشيخ محمّد بن عيسى) والتصحيف بين (محمّد) و(أحمد) ليس ببعيد.

عاش أيام الاحتلال البرتغاليّ لجزيرة البحرين قبل هزيمتهم على يد الصفويين(١٠١١هـ/١٦٠٢م).

له: رسالة في الاستخارة عن الإمام الصادق(ع). [النويدريّ: ١/١٦٠-١٦١]

(٢) زاهر بن عليّ الدمستانيّ (القرن: ١١هـ)

الفقيه الفاضل الشيخ زاهر بن عليّ بن يوسف الدمستانيّ البحرانيّ. حاله مجهول.

له قصة لطيفة مع الشاعر أبي البحر الشيخ جعفر الخطيّ البحرانيّ، نصها:

"وبلغه -يعني أبا البحر- عن بعض الأودّاء من أهل الاشتغال بتحصيل المعارف الدينيّة -وهو أبوالحسن الشيخ زاهر بن عليّ بن يوسف الدمستانيّ البحرانيّ- أنّه يتصيّد هذا النوع من السمك(السبيطيّ) الذي شجّه في وجهه إحداها في مقطع توبلي، فهجاه بقصيدة في سيف دمستان. فشكر صنعه وأرسل إليه بهذه الأبيات:

جزى الله عنّا زاهرًا في صنيعهِ بنا خير ما يُجزى على الخير منعمُ

تتبّع أقصى ثأرنا فأصابــه فما طُلّ منّا عند نصرته دمُ

درى أنّ عند الحوت بعض دمائنا فخاض إليه البحر والبحر مفعمُ

فأصبح صيّادًا وما كان قبلها بشيء سوى صيد الفضائل يعلمُ

فحيّاه عنّى حيث ما حطّ رحله من الأرض محلول النطاقين مرزمُ". [التاجر: ٢/٦٥]

(٣) السيّد باقر الدمستانيّ (قبل: ١١١٢هـ)

العالم الشاعر السيّد باقر الدمستانيّ، أوّل مَن تصدّى للإفتاء في قرية دمستان. عُرف بالحكمة والعلم والكرم.

له: (الأمالي) كتاب في الأدب شعرًا ونثرًا. [النويدريّ: ٢/٢٣٤-٢٣٥]

(٤)عليّ بن خلف الدمستانيّ (قبل: ١١٥٥هـ)

الفقيه المتكلّم الشيخ عليّ بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله الدمستانيّ البحرانيّ. وهو جدّ الشيخ حسن الدمستانيّ. وصفه معاصروه بـ"شيخ المتكلمين".

له العديد من الآثار، منها:

(١)الجواهر والأعراض في الفلسفة.

(٢)رسالة في وجوب غسل الجمعة.

(٣)رسالة في تحليل التتن.

(٤)رسالة في البرزخ. [التاجر: ٣/ ١٣٠-١٣١، النويدريّ: ٢/ ٢٦١]

(٥)عليّ بن عبدالله الدمستانيّ (القرن: ١٢هـ)

المجتهد الفاضل الشيخ عليّ بن عبدالله بن عليّ الدمستانيّ، ويُحتمل أنْ يكون الشيخ حسن الدمستانيّ ابن عمه.

له: "الرسالة الدمستانيّة في الرد على الأخباريّة". ذكر أنّه لما رأى النزاع بين الأصوليّين والأخباريّين في جهة حجيّة الأخبار المرويّة عن الأئمّة الأطهار(ع) من حيث كونها ظنيّة أم قطعيّة، عمل هذه الرسالة. [التاجر: ٣/١٥٨-١٥٩]

(٦) حسن بن محمّد الدمستانيّ (قبل: ١١٨١هـ)

الشاعر والفقيه المحقّق الشيخ حسن بن محمّد بن عليّ بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله الدمستانيّ البحرانيّ. ولد في بلدة (عالي حويص) التي فيها قبر أبيه (الشيخ محمّد).

وهو إلى جانب شهرته عند عامّة الناس في البحرين والخليج بمربّعته(مسمّطته المثمّنة) الخالدة "أحرم الحجّاج"، فهو كذلك، معروف عند العلماء بالمحقّق الذي قلّما وُجد مثله في العلم والتقوى.

ومع ما هو عليه من الفضل والفقاهة، كان يعمل بيده في الزراعة لكسب قوته. وتروي مصادر ترجمته: أنّ وفدًا من علماء (أصفهان) قدم إلى البحرين لاستفتاء علمائها حول مسائل فقهيّة محدّدة، فأُرشدوا إلى (المجتهد الكبير) في ذلك الوقت. فقصدوا دمستان، فوجدوه بزيّ الفلاح الفقير منهمكًا في السقي، فأنكروه وأهانوا مَن أرشدهم، وحينما تأكّد لهم أنّه المجتهد المشهور، اعتذروا ومضوا في طرح مسائلهم، وتحرير إجابة الشيخ الدمستانيّ تحقيقًا للمهمّة التي قدموا من أجلها.

هاجر الدمستانيّ إلى القطيف في بعض الوقائع التي نكبت بها البحرين، ولعلها -غزو اليعاربة- في سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م. وتوفي هناك.

له آثار عديدة:

(١) "انتخاب الجيد لتنبيهات السيّد" في علم الرجال.

(٢) أرجوزة "تحفة الباحثين في أصول الدين".

(٣) منظومة في نفي الجبر والتفويض.

(٤) أرجوزة في إثبات الإمامة والوصيّة.

(٥) أرجوزة في التوحيد.

(٦) رسالة في الجهر والإخفات.

(٧) رسالة في التوحيد.

(٨) "أوراد الأبرار في مأتم الكرّار" ويسمى بـ"الأسفار".

(٩) ديوان شعره "نيل الأمانيّ". [النويدريّ: ٢/٢٣٦-٢٣٧]

(٧) عبدالنبيّ بن محمّد الدمستانيّ (القرن: ١٢هـ)

العلّامة الشيخ عبدالنبيّ بن محمّد بن عليّ الدمستانيّ، شقيق الشيخ حسن الدمستانيّ، وهو عالم فاضل، وأديب كامل.

رثاه مع أخيه الشيخ أحمد، الشيخ حسن الدمستانيّ، بقوله:

يرجوكم حسنٌ بأنْ تتشفّعوا فيه إذا ضمّ الأنام الموعدُ.

فلوالديّ تشفّعوا يا سادتي لاسيما أبي الشفيق محمّد

وكذا شقيقيّ اشفعوا لهما إذا أتيا غدًا عبدالنبيّ وأحمدُ. [التاجر: ٣/٢٣]

(٨) أحمد بن حسن الدمستانيّ (١٢٤٠هـ)

العلّامة الفهّامة الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن محمّد بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله الدمستانيّ البحرانيّ، نزل بوشهر على الساحل الإيرانيّ.

أخذ الأدب عن أبيه الشيخ حسن الدمستانيّ، والفقه عن الشيخ يوسف صاحب الحدائق، ومجاز منهما.

له من الآثار:

(١) رسالة في الانتصار لابن عقيل بإقامة الدليل على عدم التنجّس بملاقاة النجاسة للماء القليل.

(٢) رسالة في أصول الفقه.

(٣) رسالة في العروض.

(٤) أجوبة المسائل الزنجانيّة.

(٥) كتاب الإجازات.

(٦) ديوان شعر في مدائح أهل البيت(عليهم السلام) ومراثيهم.

(٧) رسالة في الأدعية والمجرّبات.

(٨) مجموعة مسائل قدّمها لأستاذه صاحب الحدائق فأجاب عنها. [النويدريّ: ٢/٢٢٤-٢٢٦]

(٩) محسن الدمستانيّ (قبل: ١٢٠٣هـ)

الفقيه المحقّق الشيخ محسن بن محمّد بن عليّ آل ضيف الدمستانيّ. كان من فضلاء البحرين، وتصدّر للإفتاء في قرية دمستان بعد ابن عمّه الشيخ حسن الدمستانيّ. له العديد من الآثار، منها:

(١) ديوان شعر.

(٢) شرح عيون الأخبار.

(٣) شرح دعاء كميل. [النويدريّ :٢/٣٥١]

(١٠) محمّد بن أحمد الدمستانيّ (قبل: ١٢٠٩هـ)

الفقيه الأصوليّ الشيخ محمّد بن أحمد بن الشيخ حسن الدمستانيّ، صاحب المكانة العلميّة بين علماء البحرين. قطن في قرية دمستان.

له: رسالة في تفسير بعض الآيات أسماها "الجواهر العاليات في كشف الآيات". [النويدريّ: ٢/٣٥١-٣٥٢]

في الختام، نثبّت أنّ الهدف من هذه الصفحات أمران:

- الأوّل: ترويج أسماء هؤلاء العلماء وسيرهم في الوسط الاجتماعيّ العامّ للعبرة والاقتداء؛ فـ"لَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا"[نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢١].
- الثاني: دعوة المهتمّين بشئون البحث والدرس لإعمال القلم والتنقيب عن سيرهم وتحقيق نتاجاتهم العلميّة ودراستها.

الخميس: ٨ ربيع الأوّل ١٤٤٦هـ/ ١٢ سبتمبر ٢٠٢٤م.